إيلان بابه*

تقلبات 1948: تدوين تاريخ إسرائيل**

يحلل الكاتب في هذا المقال تجربة التحولين اللذين شهدتهما عملية تدوين تاريخ إسرائيل لحرب 1948، من السرد الصهيوني الكلاسيكي، إلى "التاريخ الجديد" أواخر الثمانينيات، ومنه إلى بروز التيار "الصهيوني الجديد" بدءاً من سنة 2000، معتبراً أن تدوين التاريخ عملية جدلية ينصهر فيها جدول الأعمال الأيديولوجي والتطورات السياسية بالبراهين التاريخية. وفي سياق الوصف لهذه النزعات يُظهر الكاتب كيفية ارتباطها بالتطورات السياسية المتزامنة، لكنه يخصص الجزء الأكبر من المقال لدراسة المؤرخين الصهيونيين الجدد الذين برزوا خلال الأعوام القليلة الماضية، استناداً إلى كتاباتهم العبرية التي لا تزال غير مترجمة.■

على الرغم من الموضوعية العلمية والحيادية الأكاديمية اللتين عادة ما يدعيهما التدوين التاريخي والمؤسسة الأكاديمية، فإن عدداً قليلاً فقط من علماء الاجتماع يخالف الرأي القائل إن كتابة التاريخ مبنية على خيارات وقرارات. وفي الواقع، فإن السرد التاريخي (the historical narrative) أبعد ما يكون عن تسلسل بسيط للأحداث؛ إنه بالأحرى طريقة لحبك رواية استناداً إلى وقائع مترافقة، متلازمة، وهو أمر يتطلب من المؤرخين اتخاذ القرارات بشأن ما يتوجب إدراجه أو استبعاده أو التشديد عليه، وكذلك كيفية تركيب هيكلية السرد. وبالتالي، لا مفر من أن تؤثر الحقائق السياسية في جدول أعمال المؤرخين المحترفين وتوجهاتهم، وخصوصاً حين يدور الموضوع على أرض متنازع بشأنها، وحين يُنظر إلى السرد كعامل مصيري – بل وجودي – في النزاع الدائر بشأن الأرض وصورة الذات.

هذه هي حال فلسطين، ولا سيما حال حرب 1948 التي جاءت بإسرائيل إلى حيز الوجود. فعملية تدوين التاريخ الإسرائيلية تشكل شاهداً على تقلبات السرد التاريخي، ذلك بأنها شهدت تحولين رئيسيين خلال أقل من عقدين من الزمن، الأول نقل ثمرة هذا التدوين من السرد الصهيوني الكلاسيكي عن نضال بطولي يهودي للبقاء انتهى خلافاً للتوقعات بفرار الفلسطينيين الطوعي من معظم أجزاء فلسطين، إلى سرد "التاريخ الجديد" الخاص بالثمانينيات، والذي يخالف الرواية الأولى أساساً. أمّا الثاني فهو استبدال هذا التاريخ الجديد، في سنة 2000 تقريباً، بما أسميه السرد "الصهيوني الجديد" الذي استعاد روحية النسخة الصهيونية الأولى من دون تفصيلاتها. وفي الجوهر، كان ذلك انتقالاً من القبول بالإجماع الوطني، إلى إقرار بعض أفراد النخبة بوجود عدد كبير من التناقضات والتلفيق، وصولاً إلى رفض تشكيك ما بعد الصهيونية في الإجماع الوطني.

وهذه التغييرات لا تجري في فراغ، وإنما هي وثيقة الصلة بالتيارات السياسية والدراسات الاجتماعية في زمنها؛ فالتاريخ ليس مجرد حقائق، بل عملية جدلية تدمج الأجندة الأيديولوجية في المعطى التاريخي أيضاً. وكما سأبيّن أدناه، فإن التحولات مرتبطة بتقلبات عملية السلام، وتعكس تطورها وزوالها أو موتها.

إن الفترة الممتدة بين التحدي الذي طرحه المؤرخون الجدد، الذين يُعرفون أيضاً باسم "ما بعد الصهيونيين"، وبين اختفائهم من المشهد، كانت قصيرة لم تتجاوز العقدين؛ ولا ريب في أن سبب هذا القِصَر ليس مرده فقط إلى الحقيقة التي فحواها أن حرب 1948 لم تكن قصة مرتبطة بالسياسات المباشرة فحسب، بل كانت أسطورة تأسيسية أيضاً. وبحسب لويس ألتوسِر[1] فإن الأساطير التأسيسية هي تلك التي يسهل على المجتمع استيعابها، والتي عليها تقوم وتصان تركيبة النظام الاجتماعي، وهي تقدم السرد الذي يبرر وجود الدولة ويحافظ على قوتها ما بقيت مرتبطة بالنظام الاجتماعي القائم. وفي الواقع، ففي حالة إسرائيل، وعلى الرغم من جاذبية خطاب ما بعد الصهيونية ومكانته اللذين استمرا زمناً، فإن النظام الاجتماعي لم يتغير، الأمر الذي يفسر عودة المجتمع السريعة إلى معتقداته التي كثيراً ما تمسك بها. ولأن تاريخ حرب 1948 مرتبط أيضاً بأمور تتعلق بالحرب والسلم، وبالتالي بمستقبل توجهات البلد برمته، فإن الاستخلاصات الأكاديمية المهنية بشأنه كانت، ولا تزال، مرتبطة

بشكل وثيق بالمشهد السياسي، وهو أمر أقره الباحثون أنفسهم، كما أقره السياسيون المعنيون بعملية السلام.[2]

ولا بد من توضيح المنهجية المعتمدة هنا، ذلك بأن فك رموز ما يقف خلف قرار إنتاج سرد ما، يتعدى في هذه الحالة قدرة علم الاجتماع أو علم آثار المعرفة، ولهذا السبب، اقتصرت محاولتي على الإشارة إلى كيفية انعكاس تغييرات الأجواء السياسية على السرد في المؤلفات التي أنتجها المؤرخون الذين يتناولون حرب 1948. واستناداً إلى الروح الأكاديمية، فإن أعمال هؤلاء المؤرخين يجب ألاّ تتأثر، من حيث المبدأ، بتغييرات المزاج العام أو التوجهات السياسية. إلاّ إن دراسة الحالة المحددة التي أقدمها في هذا المقال – تدوين تاريخ إسرائيل لسنة 1948 – تشير، وخصوصاً في هذا النزاع بالذات، إلى أن كتابة التاريخ، كأي وسيط ثقافي آخر، تستوعب النزاعات الأيديولوجية والتطورات السياسية وتمثلها، لكن الفارق هو أن الوسائط، أو الخطابات الأخرى، لا تدعي التجرد أو الحياد.

تدوين التاريخ والمجتمع: ما بعد الصهيونية والصهيونية الجديدة

تضمن "السرد الجديد" لحرب 1948، والذي برز في أواخر الثمانينيات، أعمال أكاديميين إسرائيليين أُطلق عليهم اسم المؤرخين الجدد و"علماء الاجتماع النقديين"، مع أن أعمال هؤلاء الأخيرين لم تقتصر على سنة 1948، بل غطت أيضاً فترة زمنية أطول تاريخياً،[3] وكانت النقطة المشتركة بينهم هي رغبتهم في النظر إلى الواقع الإسرائيلي، ماضياً وحاضراً، من خلال منظار غير صهيوني. ومع أن بينهم علماء وضعيين ينتمون إلى مجموعة متنوعة من التخصصات، إلاّ إنهم يتمتعون بصفة مشتركة هي التحرر من مجموعة المبادئ التي يقوم عليها السرد الصهيوني، فهم يستعيدون في مؤلفاتهم الرواية الفلسطينية لكتابة التاريخ. وعلى الرغم من اللقب الذي غالباً ما يُطلق عليهم، أي علماء ما بعد الصهيونية، فإن عدداً كبيراً منهم كان صهيونياً ليبرالياً أو نقدياً. وقد انعكس نقدهم للصهيونية في أعمال الفنانين والمؤلفين المسرحيين والمخرجين والصحافيين والكتّاب والشعراء والمنتجين الثقافيين بصورة عامة، وبرزت أعمالهم بشكل لافت في أواخر التسعينيات قبل أن يختفوا في نهاية ذلك العقد. وتعود الخلفية السياسية لبروزهم إلى سلسلة الأحداث التي بدأت بحرب لبنان في سنة 1982، وتعززت باندلاع أول انتفاضة فلسطينية في سنة 1987، وهي أحداث دفعت المجتمع الإسرائيلي ككل إلى التوجه نحو مرحلة تتسم بازدياد العودة إلى الذات من أجل سبر غور العلاقة مع الفلسطينيين. أمّا سياسياً، فقد تُرجم الاستشراف الجديد باستعداد، ولو متردد وموقت، للمشاركة في عملية السلام في الشرق الأوسط التي انتهت باتفاق أوسلو في سنة 1993، وتلاها توقيع اتفاق السلام الثنائي مع الأردن في سنة 1994. وباغتيال رئيس الحكومة الإسرائيلية يتسحاق رابين في سنة 1995، بدأ التفاؤل بالأفول، وتسلل إليه تشاؤم زاحف رافقه ازدياد عدم الثقة بالفلسطينيين، وتحرك نحو اليمين، وتراجع عن تنفيذ أوسلو وتحقيق أهدافه. وفي الوقت نفسه، بدأت الجاذبية الشعبية للمؤرخين الجدد، أو مظاهر ما بعد الصهيونية الخاصة بهم، تتضاءل بالتدريج.

أمّا نهاية "عقد ما بعد الصهيونية"، وبالتالي النقاش بشأن تدوين تاريخ 1948، فكانا نتيجة اندلاع الانتفاضة الثانية في سبتمبر/أيلول 2000. إذ استعاد الإجماع الصهيوني، وعلى الفور تقريباً، زخمه، وترسخ بقوة بعدما شهد شيئاً من التراجع في أوج أيام أوسلو، وأُعيد صوغ الخطاب العام في إسرائيل وفقاً لخطوط إجماعية بحتة. ولا شك في أن قبول وسائل الإعلام الإسرائيلية الرئيسية، ومن دون أي نقد، ونشرها بشكل واسع رواية الحكومة الدعائية الكاذبة أن ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ليسا المحرضين اللذين كانا وراء الانتفاضة الثانية فحسب، بل يتحملان المسؤولية الكاملة عن فشل قمة كامب ديفيد في سنة 2000 أيضاً، سهّلا إلى حد كبير التبني الفوري للإجماع الصهيوني. فبالنسبة إلى المجتمع اليهودي ونخبته السياسية، قدمت إسرائيل جميع إمكاناتها لتحقيق السلام، لكنها قوبلت بالتطرف والتعنت، الأمر الذي أجبر الحكومة على الانتقال من السلام إلى الحرب، كما أن الفلسطينيين أثبتوا أنهم أعداء، وهو ما يبرر وحشية الرد الإسرائيلي على الانتفاضة وانغلاق العقل العام. وجاء انتخاب أريئيل شارون بفارق كبير في شباط/فبراير 2001 ليؤكد قوة الدعم العام للسياسات الجديدة، في حين سهلت هجمات الحادي عشر من أيلول/سبتمبر الصورة التي روجتها الحكومة، والتي تزعم أن عرفات إرهابي كبير على صلة ببن لادن، وأن ردّ إسرائيل على الانتفاضة هو

جزء من الحرب العالمية ضد الإرهاب. وكما في السابق، كانت وسائل الإعلام والمؤسسات الأكاديمية هي الأدوات الرئيسية التي أمّنت الركيزة "المهنية"، وحتى "العلمية"، لهذه التفسيرات.[4]

هكذا، وفي حين دفعت أجواء وسياسات بداية التسعينيات المؤرخين المحليين إلى فتح نافذة على السرد الفلسطيني، وحتى دراسة احتمال قبول بعض افتراضاته الرئيسية، فإن الأوضاع المتغيرة التي تلت سنة 2000 أوجدت أرضاً خصبة لجيل جديد من المؤرخين قام بترسيخ السرد وتحصينه خلف حائط من الإنكار، وبتقوية الهوية الجماعية في وجه صراع متجدد.[5]

ومن المهم تأكيد أنه بينما استُرجع الإجماع الصهيوني التقليدي، وأعيد احتضانه فوراً، فإن السرد التاريخي [الصهيوني] الجديد، الذي باشر تعزيز مكانته قبل سنة 2000، لم يؤدِ إلى إعادة إنتاج السرد الصهيوني التقليدي، ليس لأن التاريخ لا يعيد نفسه فحسب، بل لأن تدوين التاريخ أيضاً لا يمكن أن يعيد نفسه. وما برز بدلاً منه هو سرد جديد – قديم تم تحديثه كي يلائم الوقائع السياسية المتحولة من جهة، ويأخذ في الاعتبار المعلومات الجديدة الخارجة من الأرشيف الإسرائيلي ويستوعبها من جهة أُخرى.

لقد كان تدوين التاريخ الجديد هذا صهيونياً في توجهاته الأيديولوجية، وفي أسلوبه وتلويناته، لكنه تجنب عمليات الحذف والتحريف وإنكار الوقائع التي كانت ميزة النسخة الصهيونية التقليدية. إن مؤرخي ما بعد الصهيونية والمؤرخين الجدد، الذين اعتمدت أعمالهم على مصادر الأرشيف التي كانت متاحة في ذلك الوقت [أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات من القرن المنصرم]، قاموا بإبراز الوقائع الجديدة المتعلقة بالطرد والمذابح وغيرهما من جرائم الحرب التي ارتُكبت في سنة 1948، والتي لا يمكن لجيل الصهيونيين الجدد تجاهلها. أمّا العنصر الأهم الذي ساهم في بروز هؤلاء فهو نشر وثائق رئيسية جديدة في سنة 1998 تعود إلى أرشيف الجيش الإسرائيلي والهاغاناه، الأمر الذي سمح للمؤرخين المحترفين في إسرائيل بأن يروا بأعينهم ضخامة التطهير العرقي الذي جرى في سنة 1948 استناداً إلى وثائق حكومية، حتى إن المؤرخين "القوميين" والمستشرقين الذين سخروا من المصادر العربية والفلسطينية، واعتمدوا حصرياً على المصادر الإسرائيلية، لم يتمكنوا من إنكار عمليات الطرد الجماعي والمتعمد.[6]

هكذا، ومن وجهة نظر واقعية محضة، لم تختلف كثيراً رواية الصهيونيين الجدد المتعلقة بأحداث 1948 عن رواية ما بعد الصهيونيين أو المؤرخين الجدد، واقتصر الفارق على تأويل الوقائع. فما اعتبره المؤرخون الجدد انتهاكاً للحقوق المدنية والإنسانية، أو أعمالاً وحشية وجرائم حرب، جرت معالجته في البحث الجديد كأنه طبيعي، لا بل كأنه تصرف جدير بالثناء أحياناً على المؤسسة العسكرية الإسرائيلية، كما أن ما اعتبره مؤرخو ما بعد الصهيونية فصولاً معيبة في التاريخ الإسرائيلي أعيد تبريره في البحث الجديد.[7]

ومن وجهة النظر الصهيونية الجديدة، فإن قبول الوقائع التي أعلنها المؤرخون الجدد، ترافق مع رفض قاطع (قبله الرأي العام الإسرائيلي بشكل واسع) للنتائج الأخلاقية **المعاصرة** التي استخلصها المؤرخون الجدد من جرائم إسرائيل في سنة 1948، وأولها وأكثرها أهمية انتزاع ملكيات الفلسطينيين. ولم يكتفِ الصهيونيون الجدد برفض تفسير مؤرخي ما بعد الصهيونية، بل هاجموهم أيضاً على أساس أخلاقي لأنهم قوضوا شرعية الدولة بشكل خطر. وقد تم تفصيل هذه المقاربة بوضوح وإيجاز في مجلة "تِخيلِت" التي ينشر فيها بانتظام أبرز المؤرخين الإسرائيليين، والناطقة بلسان ما يسمى في إسرائيل "اليمين الجديد" الذي لا يمثل فعلياً موقفاً يمينياً، وإنما موقفاً توافقياً مقبولاً أيضاً من مؤرخين من اليسار.

> *ولا يستطيع القراء الصادقون [قراء أعمال المؤرخين الجدد] إنكار معظم الوقائع المقدمة من جانب هؤلاء المؤرخين بشأن سياسات الصهيونية في الماضي... ومع ذلك، يبدو أن الخلاصة التي كان هؤلاء يبحثون عنها كانت تهدف إلى تقويض شرعية آباء الأمة الذين لم يعودوا أحياء... ولا يمكننا التقليل من مخاطر هذه الهجمة... لا يمكن لأي أمة الحفاظ على حيويتها إذا كان سردها التاريخي سيقدَّم علناً على أنه منحل أخلاقياً. [علاوة على ذلك]، إن التجديد الذي قام به المؤرخون الجدد كان في المنظور وليس في الوقائع... وهذه ليست وقائع، وإنما تقويمات أخلاقية عميقة.*[8]

يوجز الاقتباس الوارد أعلاه جوهر رد الصهيونية الجديدة على المؤرخين الجدد، وهو: قبولها بالوقائع الأساسية التي كشفوها، وانتقادها إياهم بشدة على أساس أخلاقي. وفعلاً، نشأ بين الباحثين العاملين وفق منظور صهيوني جديد ما يمكن اعتباره توزيعاً

في المهمات بشأن أحداث 1948، فقد تولت مجموعة منهم مهمة تحدي الأخلاقيات التي يقوم عليها تدوين التاريخ النقدي، في حين ركزت المجموعة الثانية على إعادة درس البراهين الواقعية بحيث يمكن من خلالها إعادة بناء سرد صهيوني جديد – قديم لحرب 1948 بطريقة يمكن أن تعكس المزاج الجديد في إسرائيل اليوم.

نقد المؤرخين الجدد والنقاش الأخلاقي

المفارقة أنه على الرغم من إسكات المقاربة ما بعد الصهيونية ومعها الروح النقدية داخل المجتمع الإسرائيلي بعد اندلاع الانتفاضة الثانية، فإن أي إشارة إلى انحسار الهجوم على المؤرخين الجدد (باستثناء بني موريس)، لم تظهر، واستمر، من داخل المجتمع الإسرائيلي، تصوير انتقاد الصهيونية، ولو بشكله المحدود جداً، أنه خطر كبير يضر بالصفة اليهودية للدولة. ومنذ سنة 2000، باتت مساءلة السرد القومي عامة، وسرد أحداث 1948 خاصة، تُصوّر أنها تهديد أيديولوجي يتطلب من الباحثين في الوطن والخارج صده مهنياً.[9]

ومع أن نفوذ المؤرخين الجدد تلاشى، فإن الانتقاد الموجه إليهم - والذي احتدم منذ بروزهم الأول – استمر، لكن على أسس جديدة عكست انشغال الصهيونية المعاصرة بشرح "أخلاقية" المشروع الصهيوني. ففي حين تمحور النقاش، في الأعوام الأولى للتحدي الذي طرحته المؤلفات ما بعد الصهيونية، حول الوقائع، فإنه تحوّل اليوم إلى "فضح" ما يقع خلف علمَي التاريخ والاجتماع النقديين اللذين برزا في إسرائيل في أواخر الثمانينيات. ويمثّل إفرايم كارش صورة مصغرة للرد الأولي، وقد نُشرت، لاحقاً، مزاعمه بشأن "تلفيق التاريخ" في كتابه الذي يحمل العنوان نفسه،[10] لكن لا يتضمن أي إشارة إلى الأخلاق. وفي الواقع، فإن المقال الذي أشرنا إليه أعلاه، والمنشور في مجلة "تِخيلِت"، يلوم كارش بوضوح لأنه يفشل في مواجهة المؤرخين الجدد أخلاقياً وأيديولوجياً، ويخوض حرباً ضد "حقائق ثابتة".[11] وقد توصل ناشرو المجلة إلى خلاصة تفيد بأن الأكاديميين الإسرائيليين لا يمكنهم السماح للمؤرخين الجدد بوضع جدول أعمال البحث في أحداث 1948، وهو نقد آخر لا نجده في الرد الصهيوني الأول.

نشبت المعركة الأخلاقية بصورة خاصة خارج إسرائيل حيث حقق مؤرخو ما بعد الصهيونية نجاحات أكثر استدامة، فخلال الأعوام التي تلت أفول نجم المؤرخين الجدد، برزت في الولايات المتحدة كتب تمثل النظرة الصهيونية الجديدة. وتقدم مجموعة المقالات التي حررتها أنيتا شابيرا وديريك ج. بنسلار بعنوان "المراجعة التاريخية الإسرائيلية: من اليسار إلى اليمين" (*Israeli Historical Revisionism: From Left to Right*)، أفضل مثال لذلك، إذ أعلن المحرران في المقدمة، أن الذين أعادوا النظر [في الرواية الصهيونية الكلاسيكية]، باستثناء موريس، إنما كانوا يهاجمون الصهيونية نفسها.[12] إلاّ إن المعركة الأخلاقية التي حملت القدر الأكبر من الانفعال، فكانت تلك التي قادها الفيلسوف السياسي مايكل فالزر،[13] إذ قدم الصهيونية على أنها حركة تحرير تحمل أخلاقية استثنائية، ووصف النقاش الدائر بشأن معركة 1948 بأنه معركة وجودية ضد قوى الشر. وهو لا يناقش الوقائع، وإنما يستعمل خطاب "التعقيد" لطمس النقاش، كوصفه مصادرة أملاك مليون فلسطيني تقريباً، والسيطرة من خلال الاحتلال، والتمييز الممارس ضد نحو خمسة ملايين فلسطيني آخرين، بأنها موضوعات معقدة.[14] وفي سياق متصل، اعتبر المؤرخ دانيال غوتواين من جامعة حيفا، وبعد محاججته في أن لا جديد في ادعاءات التاريخ الجديد بشأن الوقائع، أن الصهيونية تواجه أعداء مرعبين، بينهم المؤرخون ما بعد الحداثيين والعدميون الذين يصادرون الذاكرة الجماعية الوطنية المقدسة لخدمة مصالحهم الأنانية، كي لا نقل المنحرفة.[15] وذهب البعض إلى حد اتهام المؤرخين الجدد صراحة بالخيانة.[16]

وقبل النظر في أعمال المؤرخين الصهيونيين الجدد، لا بد من توضيح بشأن موريس، وهو أحد أهم المؤرخين الجدد الذين يمكن أن نعتبر أنه جسّد بعد "انعطافته" في سنة 2000، علامتين فارقتين من علامات الصهيونية الجديدة: الوضعية (في كتاباته السياسية وفي مقابلاته)، والتبرير الأخلاقي لحرب 1948. فموريس لم يكن يوماً من مؤرخي ما بعد الصهيونية، ولم يشارك في النظرة الأخلاقية أو السلوكية للوقائع التي كشفها، لكنه في المقابل، لم يتردد في تقديم أدلة دامغة تدين السرد الصهيوني. ففي كتابه: "ولادة مشكلة اللاجئين، 1947 – 1949" (*The Birth of the Refugee Problem, 1947-1949*)،[17] قدّم أول برهان منهجي مبني على مصادر "الجيش الإسرائيلي"

فيما يتعلق بالطرد الجماعي الأساسي خلال حرب 1948. وحين نُشرت الوثائق الجديدة في سنة 1998، وأظهرت أن عمليات الطرد كانت متعمدة ومنظمة ومنهجية وأوسع مما بدا في الوثائق المحدودة التي كانت متوفرة قبل عقد، عمد موريس، الوضعي دائماً، إلى إجراء ما سماه تصحيحاً لخطأ، فأعاد النظر ووسّع كتابه كي يشمل الحقائق الجديدة. وبحلول موعد نشر الطبعة الجديدة في سنة 2004، كانت الانتفاضة الثانية في أوجها، فانصهر كشف ما كان يُمكن اعتباره سابقاً معلومات جديدة تنطوي على إدانة "دامغة" للسرد الصهيوني المتعلق بحرب 1948، بشكل ملائم مع انغلاق المنطق العام في وجه الفلسطينيين في أعقاب الانتفاضة. وفي المناخ الجديد، لم تُعتبر عمليات إسرائيل العسكرية الوحشية ضد الفلسطينيين خلال الانتفاضة الجديدة مبررة فحسب، بل إن التبرير شمل أيضاً عمليات الطرد المنهجي في سنة 1948. وموريس الذي اتُّهم خطأً في السابق بأنه "كاره لإسرائيل" وجزء من حركة ما بعد الصهيونية، بات مثالاً للصهيونية الجديدة، وأصبح في موقع مثالي يسمح له بتقديم تبرير متأخر لعمليات الطرد خلال سنتَي 1948 – 1949. ففي مقابلة أجراها مع صحيفة "هآرتس" في 9 كانون الثاني/يناير 2004، قدم التبرير المطلق للتطهير العرقي الذي جرى في سنة 1948، قائلاً: "من دون اقتلاع الفلسطينيين لم يكن من الممكن قيام دولة يهودية هنا"،[18] كما أنه انتقد بن – غوريون لأنه فشل في "تطهير أرض إسرائيل برمتها حتى نهر الأردن"، الأمر "الذي كان من شأنه تأمين استقرار دولة إسرائيل لأجيال عدة."[19]

الوجه الجديد للكتابة المهنية للتاريخ

وَصْف موريس للتطهير العرقي في سنة 1948 بأنه دفاع عن النفس، أي خيار "بين التدمير أو التعرض للتدمير"، وإصراره على أن حرب 1948 كانت جزءاً "من الأوضاع التاريخية التي تبرر التطهير العرقي"،[20] يعبّران عن الروحية الكامنة وراء مؤلفات الصهيونيين الجدد بشأن سنة 1948 داخل النسيج الأكاديمي الإسرائيلي،[21] وفي عدد كبير من المجموعات الحديثة عن تلك الحرب.[22] وبلغ الدفاع الأخلاقي عن الحرب، في بعض الأعمال الجديدة، أبعاداً مسيانية. وتُعتبر مقدمة إحدى أهم مجموعات المقالات عن الحرب، التي صدرت في مجلدين بعنوان: "حرب استقلال إسرائيل، 1948 – 1949" (بالعبرية)، وقد حررهما وكتب مقدمتهما ألون كاديش، وهو رئيس سابق لقسم التاريخ في الجامعة العبرية، مثالاً معبراً عن ذلك، إذ كاد كاديش يجعل من المجهود اليهودي في حرب 1948 مجهوداً لاهوتياً مشيراً إلى النتيجة أنها انتصار لـ "الحق" ضد "الظلم" في معركة جنّبت اليهود محرقة ثانية،[23] كما أشار إلى أن سنة 1948 هي آخر حلقة من السلسلة التي "تكمل افتداء الأرض وعودة اليهود إلى وطنهم وتجديد استقلالهم على الأرض."[24] وبشكل عام، تقدم مجموعة كاديش التي تضم عشرات المقالات التي تركز على الأبعاد العسكرية للحرب، خير مثال للمزج بين الخطاب اللاهوتي الصهيوني وإعادة البناء التي تقوم بها المدرسة الوضعية (positivist) للمحفوظات، وهما يجسدان بامتزاجهما خصائص مقاربة الصهيونية الجديدة. ويمكن للمرء أن يقول إنه بفضل التركيز المشترك على الإنجاز اللاهوتي والتهديد الوجودي، فإن عمليتَي التهويد ونزع الصفة العربية عن فلسطين (ليس فقط في المناطق المحددة للدولة اليهودية بحسب قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة في سنة 1947، بل أبعد من ذلك بكثير أيضاً)، باتتا تحظيان بإقرار تام بأنهما كانتا الهدف الرئيسي والمبرر أخلاقياً للقيادة الصهيونية في سنة 1948.

لقد شكل هذان العنصران (الوعد الإلهي والبقاء الوجودي) نصاً ثانوياً حيوياً في "التاريخ القديم" لسنة 1948، والمكتوب قبل ظهور المؤرخين الجدد، لكن التاريخ القديم، كما أشرت سابقاً، كان أكثر حذراً في أمور مثل الطرد والمجازر. وثمة اختلاف آخر يميز بين التيار التقليدي للمؤرخين الصهيونيين (وأيضاً المؤرخين الجدد)، وبين المؤرخين الصهيونيين الجدد، وهو أن الأخيرين لم يكونوا، على العموم، مؤرخين محترفين، وإنما صحافيين ونقاداً كانوا جزءاً من النخبة السياسية. ومع ذلك، كتب أحد أهم ممارسي مهنة السرد التاريخي للصهيونية الجديدة كتاباً كاملاً للدفاع عن التدوين الأولي للتاريخ في سنة 1948، معتبراً أنه شرعي وعلمي.[25]

ويمكن القول إن كثيرين من المؤرخين الصهيونيين الجدد لسنة 1948، هم من طلاب الدراسات العليا، أو الباحثين المتخرجين حديثاً الذين أُدخلوا مؤخراً في عداد المؤرخين المحترفين. وهؤلاء لا يتمتعون بالقدرة على النفاذ إلى الوثائق

التي أصدرها أرشيف الجيش الإسرائيلي في سنة 1998 فحسب، بل سُمح لهم أيضاً بالوصول إلى مواد مختارة وسرية جداً لا يمكن أن يطلع عليها باحثون يوجد شك في أنهم ينتقدون الصهيونية. ومن الملاحَظ أن أغلبية أعمالهم المكتوبة باللغة العبرية نشرتها وزارة الدفاع الإسرائيلية. وتشكل ثمرة جهودهم كماً هائلاً من الإنتاج الذي يشير إلى خطاب جديد واختيار حديث للموضوعات يبتعدان عادة عن الأبعاد الإنسانية للحرب، ويتجهان نحو الجوانب العسكرية مع إعادة النظر في الحملات العسكرية المفصلة تفصيلاً يحيط بالزوايا كافة. وباتت الموضوعات الحديثة، على غرار موضوع المجتمع اليهودي المدني خلال الحرب، هي المفضلة، الأمر الذي يعيد توجيه الأبحاث بعيداً عن موضوع تصوير الفلسطينيين كضحايا، ونحو سرد قصص عن الصمود البطولي للمجتمع اليهودي في سنة 1948.[26] وعمد بعض الأعمال إلى لوم الفلسطينيين على مصيرهم، متبعاً خطى موريس بعد سنة 2000،[27] وغيره من الباحثين المعروفين الذين ابتعدوا عن التاريخ الجديد مثل يوآف غيلبر.[28] وفي حين يحتل موضوع "لوم الفلسطينيين" حيزاً ثانوياً في هذه الأعمال، إلاّ إنه يتسم بالوضوح أحياناً، كما هي الحال في أعمال تمير غورين[29] الذي ركز، بصورة خاصة، على مسؤولية الفلسطينيين عن هجرتهم من حيفا. ومن الموضوعات الأخرى، يمكن أن نذكر موضوع جمع المتطوعين اليهود في الخارج وما آل إليه مصيرهم،[30] والدور الذي أدته المستوطنات،[31] والمشكلات اللوجستية المتصلة بالبنى التحتية والسياسة والمؤسسة العسكرية،[32] وكذلك تكاليف الحرب والعنصر الاقتصادي.[33] وفي الأجواء السائدة التي تلت سنة 2000، أعيد صوغ النشاط الفلسطيني والمقاومة الفلسطينية في سنة 1948 من خلال تعبيرات تشير إلى المنظمات والأعمال الإرهابية المعاصرة.[34] وقد استعاد بعض الأبحاث الجديدة موضوعات تميز السرد الصهيوني القديم، مثل إعادة ابتكار حرب 1948 كحرب تحرير ضد البريطانيين،[35] وهذه الأبحاث تعيد تأكيد الادعاء الصهيوني "طهارة السلاح"، لكن هذه المرة ضد القوات البريطانية بدلاً من الفلسطينيين (بينما ركزت حركة ما بعد الصهيونية على تدمير هذه الأسطورة).

وقد ورد عدد من الأعمال المذكورة أعلاه في مجلدي "حرب استقلال إسرائيل"، اللذين حررهما كاديش، واللذين ناقشنا مقدمتهما سابقاً (والعنوان خير مثال لتدوين التاريخ من طرف حركة الصهيونية الجديدة التي تخلت عن التعبير الحيادي "حرب 1948" الذي استعمله المؤرخون الجدد، وتبنّت عبارة "حرب الاستقلال" أو "حرب التحرير". وإذا نظرنا إلى مجموعة كاديش في مجملها نرى أنها تجسد عدداً من العلامات الفارقة في مجال تدوين التاريخ على يد الصهيونية الجديدة. وقد تطلّب جزء من الاستراتيجيا الجديدة، وخصوصاً فيما يتعلق بعمليات الطرد، تأكيد أن هذه العمليات مألوفة، لا بل حوادث لا مفر منها في الحرب، وأن التعامل معها، بالتالي، يجري من وجهة نظر تكاد تكون تقنية. ومن الأمثلة التي تشير فعلياً إلى هذه النظرة، المقال الذي كتبه أستاذ الجغرافيا في جامعة حيفا، البروفسور أرنون غولان، والذي يحمل العنوان اللطيف اللافت: "إعادة رسم الفضاء العربي السابق وإنشاء فضاء إسرائيلي (1948 – 1950)". فغولان الذي أدى في السابق دوراً رائداً في محاولة دحض أعمال المؤرخين الجدد، يعمد هنا إلى التخلي عن إنكاره حدوث التطهير العرقي ليكتب:

> *إن السياسة المعتمدة فيما يتعلق بالقرى العربية المحتلة هي التدمير الكامل وطرد القرويين الذين بقوا فيها. وكانت الأعمال تطبّق دائماً وفقاً للتفسير الصارم لخطة دالِتْ... كما كان هناك ظواهر التخريب المتعمّد والانتقام.*[36]

الوقائع موجودة، ومروية كما وقعت، لكن من دون أي لمحة عن انزعاج أخلاقي. فغولان يشرح أن الطرفين مارسا سياسة الطرد نفسها، وهي سلوك نموذجي في حالات الحرب، لكن، مع ذلك، يبدو أنه شعر بأنه مجبر على تقديم تبرير ما من خلال العودة إلى موضوع سبق أن تناوله في أطروحة الدكتوراه التي قدمها في سنة 1993، وفحواه: لأن حرب 1948 أفرزت لاجئين عرباً ويهوداً، فالمسألة تتمحور حول "المساواة بين الضحايا".[37] وخلافاً لمعظم الكتّاب الذين تناولوا المساواة بين الضحايا على أساس اللاجئين اليهود "من الدول العربية"، يركز غولان تحديداً على بضع مئات من اليهود الذين تم تفكيك مستوطناتهم فيما أصبح اليوم الضفة الغربية، وعلى اليهود المقيمين في الحي اليهودي في البلدة القديمة في القدس، أي المناطق جميعها التي ضمها الأردن بموافقة يهودية مسبقة. وعلى غرار موريس في تجسّده الجديد، فإن غولان يأسف

على غياب سلطة أكثر فاعلية وتنسيقاً في تقسيم غنائم الحرب نتيجة النهب المنهجي لأملاك الفلسطينيين: منازل وأراض وحسابات مصرفية، لكنه يشير إلى أن انتزاع أملاك الفلسطينيين كان الطريقة الوحيدة الممكنة لاستيعاب العدد الكبير من المهاجرين اليهود بعد حرب 1948.[38] ومن الجوانب الأخرى لهذه الظاهرة، موافقته على تطبيق إسرائيل سياسة عدم عودة اللاجئين إلى وطنهم (التي يتغاضى عنها موريس أيضاً).[39]

وليس من المستغرب أن يرسم العديد من فصول كتاب "حرب استقلال إسرائيل"، الخطوط العريضة الأساسية للأحداث التي أوردها المؤرخون الجدد، لكن بنتائج مغايرة جداً. فمثلاً، يؤكد فصل داني هداري (على غرار المؤرخين الجدد) أهمية الخطة دالِت في تسريع التطهير العرقي في فلسطين.[40]

وعلى الرغم من أن هداري يسعى لتعقيم المصطلح (يشير إلى القسم الخاص من الخطة الذي يفصّل التعليمات بتدمير القرى الفلسطينية بالقول، بكل بساطة، إنها "عمل عسكري مهم")،[41] فإنه لا يحاول إخفاء أعمال ربما يفضل الكتّاب الصهيونيون التقليديون تفاديها. فعلى سبيل المثال، هو لا يكتب فقط أن القوات اليهودية نادراً ما احترمت عرض الاستسلام الوارد في الخطة دالِت، والذي يعد القرى الفلسطينية بالحماية، بل يُثني أيضاً على الجيش لتفسيره القاسي للخطة، معللاً هذه القساوة بالقول إنها نتيجة النزعة المعروفة للجيش إلى "أخذ المبادرة" (ليتول يوزمان).[42] وهو يبرز حالة أم الزينات، وهي قرية وُعدت بالحصانة، لكنها دُمرت وطُرد سكانها على الرغم من اقتراحاتهم المسالمة. ويستخدم هداري اللهجة نفسها لدى مناقشته سياسة الجيش في إطلاق النار على القرويين الذين يحاولون العودة إلى قراهم بعد أن طُردوا منها، وهذا الأمر يتكرر في مناقشته أعمالاً أخرى، إذ يعتبرها مشكلة عسكرية بحتة. كما أنه يشيد بمجهود الجيش الإسرائيلي في مجال "نزع الصفة العربية" عن الجليل من أيار/مايو إلى تشرين الأول/أكتوبر 1948 (من المثير للاهتمام أنه في حين لا يكاد الصهيونيون الجدد يستعملون أبداً تعبير "التطهير العرقي"، فإنهم تبنوا تعبير "نزع الصفة العربية"؛ ومع ذلك، نادراً ما ورد ذكر العرب في الخطاب الكلاسيكي الصهيوني لما قبل سنة 1948، إذ كانت كلمة عرب مصطلحاً لا يمكن التفكير فيه، فالأرض كانت أساساً "فارغة"، والمهمة تقضي باستيطانها؛ ولم يقر سوى بعض الصهيونيين الكلاسيكيين بأن الاستيطان يتطلب ترحيل السكان المحليين).

ومن الأمثلة العديدة الأخرى التي تشير إلى ميل الصهيونية الجديدة إلى أن تسرد بطريقة غير اعتذارية أحداثاً كانت في السابق ربما تثير شيئاً من عدم الارتياح (أو تُحذف بكل بساطة)، فإنني لن أذكر إلاّ بعضها، وبإيجاز فقط.

فالكاتب يوري ميلشتاين، مثلاً، يصف بالتفصيل النهب الجماعي للمنازل الفلسطينية، لكنه لا يفعل ذلك من أجل انتقاد الأعمال بحد ذاتها، وإنما ليكشف عدم التنظيم في صفوف الهاغاناه، والفشل في التنسيق.[43] كذلك، ثمة فصلان في المجلدين اللذين حررهما كاديش، يقدمان مثلاً جيداً لتعامل الصهيونية الجديدة مع السياسة المنهجية العنيفة للقوات الصهيونية تجاه المدن الفلسطينية أو المختلطة، حيث قامت هذه القوات بطرد السكان الفلسطينيين منها عن سابق تعمد وتصميم. ويأتي الفصل الذي كتبه يوآف بيليغ[44] عن عمليات نيسان/أبريل 1948 في يافا، ليثبت ما كشفه المؤرخون الجدد عن أن المواجهة العسكرية في المدينة، وعملية طرد 50.000 مواطن عربي، كان من الممكن تفاديهما، لكن قادة الهاغاناه لم يرغبوا في بقاء العرب. وتبرز صورة مماثلة لذلك في الفصل الذي كتبه موشيه أرنيوالد، ويصف فيه طرد السكان الفلسطينيين من القدس الغربية خلال الفترة نفسها.[45]

ويعتبر الباحثان [بيليغ وأرنيوالد] أن هذه السياسة مقبولة، ولا يُظهر أي منهما ما يشير إلى تحفظات أخلاقية سبق أن تميزت بها أعمال المؤرخين الجدد. فعلى سبيل المثال، تصف الصفحات الأخيرة من مقال بيليغ كيف نفّذت الإرغون* عملية هدفها "تنظيف/تطهير مواقع العدو العسكرية" من خلال "القصف المتواصل لحي ((العجمي)) وغيره من الأحياء العربية في وسط المدينة بهدف كسر معنويات السكان وإحداث الفوضى ونشر الذعر للتسبب بفرار جماعي."[46] والأمر نفسه ينطبق على هدف الخطة اليهودية للاستيلاء على القدس الغربية كما سرده أرنيوالد: "التسبب بالفرار من الأحياء العربية الواقعة خارج البلدة القديمة، وتجميع السكان العرب داخلها."[47] ويضيف قائلاً إنه نتيجة الهجمات، "أصبحت كثافة السكان في المدينة القديمة، بحلول أيار/مايو 1948،

لا تطاق"، لأن عدد السكان الأصليين تضاعف، لا بل أصبح أكثر بثلاثة أضعاف.[48] وعلى الرغم من "خطورة" الأوضاع المعيشية والوضع الصحي، ومع "انتشار مرض التيفوس في 8 أيار/مايو، واندلاع أعمال الشغب جرّاء النقص في الغذاء والطحين"، فإن أرنيوالد يزعم أن السكان كانوا يشعرون بالأمان هناك.[49] وفي الواقع، بقي سكان البلدة القديمة واللاجئون فيها في أماكنهم، لكن عملياً طُرد جميع السكان العرب من القدس الغربية نتيجة هذه الأعمال.

ركز عدد من (إن لم يكن معظم) كتّاب المجلدين اللذين حررهما كاديش على العمليات العسكرية، أو على الأبعاد التي أدت إلى تأثير حاسم في اتجاه حرب 1948، أو في الموضوعات المهمة في النقاش بشأنها. وبالمقارنة، يبدو الموضوع الذي عالجه أهارون كلاين[50] – سجناء الحرب في سنة 1948 – ثانوياً بعض الشيء، ومع ذلك، من المفيد التوقف قليلاً عند هذا الفصل لأنه يبيّن العديد من ميزات المؤرخين الصهيونيين الجدد الذين نتكلم عليهم. فقد اطلع كلاين على الملفات المتعلقة بسجناء الحرب، والتي رفع الجيش الإسرائيلي غطاء السرية عنها، وما اكتشفه يؤكد، إلى حد كبير، ما ورد في دراسة سلمان أبو ستة،[51] التي استندت فقط إلى القصص الشفهية والتقارير ذات الصلة من أرشيف الصليب الأحمر الدولي (يذكر كلاين أرشيف الصليب الأحمر الدولي وأبو ستة بين مصادره). ففي رواية أبو ستة، كان سجناء الحرب، في معظمهم، من مواطني الدولة الجديدة بحسب القانون الدولي، وهم لم يُسجنوا فحسب، بل تعرضوا للتطهير العرقي أيضاً، إذ إنهم انتُزعوا من قراهم، لكن سُمح لهم بالبقاء ضمن حدود إسرائيل. وقد أُجبر نحو 5000 منهم على العمل القسري، وتعرضوا للمضايقات المنهجية.[52]

وكلاين، الذي يقبل سياسة إسرائيل تجاه سجناء حرب 1948 بالقول إنه لم يكن من الممكن تفاديها، يلاحظ بشكل عابر أن ضباط الاستخبارات كان يحق لهم أن يقرروا حالاً أياً من الفلسطينيين الموقوفين خلال عملية عسكرية يمكن إعدامه فوراً – وهي إشارة تدعم الذكريات الشفهية الفلسطينية عن الإعدامات الفورية التي جرت في القرى والأحياء المحتلة في أرجاء فلسطين. وعلى الرغم من أنه يروي حالات معاملة همجية وإعدامات في مخيمات سجناء الحرب نفسها، فإنه يقول إن هذه الممارسات لم تكن القاعدة وإنما الاستثناء، ويعزو التجاوزات إلى المشكلات اللوجستية الكبيرة التي لا مفر منها لدى سجن آلاف الرجال. وفي القسم الخاص بـ "حرّاس المخيم" (شومري همحانوت)،[53] يلاحظ أيضاً أن الحراس، في معظمهم، كانوا أعضاء في منظمتَي شتيرن* والإرغون، الأمر الذي يوحي بأنه إذا كانت حدثت وحشية استثنائية فإنها كانت من فعل "اليمين المتطرف".[54]

وبالنسبة إلى كلاين، فإن أي شخص تجاوز العاشرة، وكان مشكوكاً في أمره، يصبح سجين حرب شرعياً، وكانت الأوامر تقضي باعتقال أكبر عدد ممكن من سجناء الحرب.[55] وفي حين أنه لا يعبر بشكل مباشر عن هواجس تتعلق بالعمر الطري لسجناء الحرب من الأولاد – الذين يشير إليهم أحياناً بالقول إنهم "أولاد" وأحياناً أُخرى إنهم "جنود" – فإنه يبدو كأنه يريد أن يصدّ أي انتقاد محتمل، وبالتالي، يقدم إلينا التفسير الفريد نوعاً ما بأن اعتقال الأولاد الصغار بصفتهم سجناء حرب لم يجر إلاّ بعد طرد أمهاتهم، وهذا أمر صحيح لا يحمل أي شك لأن القوات الصهيونية كانت تفصل بين الأولاد الصغار الذكور والمراهقين الذين تجاوزوا العاشرة، وبين أمهاتهم قبل طردهن كنتيجة طبيعية،[56] لكن يبدو أن المقصود ضمناً هنا هو أن اعتقال أطفال وسجنهم كانا عملاً إنسانياً كي لا يبقوا بلا معيل.

وفيما يتعلق بمفهوم العمل القسري ككل، يشيد كلاين باستخدام الجيش الإسرائيلي الفعال والهادف للسجناء الذين سقطوا بين يديه، وكانوا، **في معظمهم**، من المراهقين الفلسطينيين والشبان في بداية العشرينيات، ولم يكونوا جنوداً، وقد استُخدموا في الأشغال الشاقة.[57] ويشكل المقطع التالي عن إنشاء معسكرات العمل – استناداً إلى وثيقة للجيش الإسرائيلي لم تكن لتتوفر للباحثين النقديين – تصويراً جيداً للمقاربة المداهنة والعملية والتكنوقراطية التي ينتهجها الصهيونيون الجدد في تدوينهم للتاريخ، والتي تتعارض إلى حد كبير مع السخط الأخلاقي الذي كانت ستسببه معلومة كهذه لدى باحثي ما بعد الصهيونية، حتى لو لم يعبّروا عنه بشكل واضح وصريح في نصوصهم التاريخية:

> *كانت القدرة المهنية الموجودة لدى الآلاف من سجناء الحرب الفلسطينيين هائلة، وكانت سوق العمل الإسرائيلية تعاني نقصاً كبيراً في اليد العاملة، والنظام العسكري في حاجة*

ماسة إلى قواعد [عسكرية] جديدة، وإلى عدد كبير من المعسكرات. [علاوة على ذلك]، فإن إدراك أن استخدام سجناء الحرب من شأنه حل بعض مشكلات الجيش الإسرائيلي وحاجاته، قاد إلى قرار إنشاء معسكرَي عمل خاصين بالمعتقلين – أحدهما في الصرفند والآخر في تل لتفنسكي [ما يُعرف اليوم بمستشفى تل هشومير]. واستُكمل إنشاء المعسكرين في أيلول/سبتمبر 1948، وفُتح معسكر خاص آخر لعدة أشهر في منطقة أم خالد قرب نتانيا... وشكّل بناء معسكرات العمل نقلة نوعية كبيرة في استغلال القوى العاملة.[58]

أخيراً، يشيد كلاين بالجيش ويلمّح إلى أن الوضع كان يتجاوز قدرته على السيطرة، لكنه مع ذلك نجح في ترتيبه: "على الرغم من أن النظام العسكري اليافع للجيش الإسرائيلي لم يكن مستعداً لهذه المسألة... إلاّ إنه نجح في تنظيم نفسه بطريقة معقولة، وفي حل مشكلة السجناء بطريقة مرضية."[59]

وبحلول نهاية تشرين الأول/أكتوبر وبداية تشرين الثاني/نوفمبر 1948، بات استخدام سجناء الحرب منظماً، وتدعمه إجراءات وأوامر وصيغ وتقارير. ولا نجد في أي مكان من سرد كلاين أي تلميح إلى الفظائع الموصوفة في السرد التالي الأولي الذي سجّله بعد الحرب مباشرة أحد الناجين الفلسطينيين:

تم تحميلنا في شاحنات انتظار... وُنقلنا إلى أم خالد تحت الحراسة... ومن هناك إلى العمل القسري. كان علينا أن نقطع الصخور ونحملها طوال النهار، وكان طعامنا اليومي يقتصر على حبة بطاطا واحدة في الصباح ونصف سمكة مقددة في المساء. وكانوا يضربون أي واحد لا يطيع الأوامر. بعد 15 يوماً، نقلوا 150 رجلاً إلى معسكر آخر، وكنت واحداً منهم. وكانت صدمة بالنسبة إليّ أن أترك شقيقي خلفي. عندما تركنا الآخرين، طُلب منا الوقوف صفاً واحداً وخلع ملابسنا. كان ذلك مذلاً لنا فرفضنا وأُطلق الرصاص علينا. وقُرئت أسماؤنا وكان يتعين علينا الرد بالقول "سيدي" وإلاّ ... نُقلنا إلى معسكر آخر في قرية إجليل حيث أُجبرنا فوراً على ممارسة العمل القسري الذي كان يقضي بنقل الحجارة من المنازل العربية المهدمة. بقينا يومين من دون طعام، ثم أعطونا كسرة من الخبز الجاف.[60]

ولا يتكلم كلاين كثيراً على أوضاع المعسكر، ما عدا أن السجناء كانوا يتلقون طعاماً جيداً، وأنه كان يُدفع لهم في مقابل عملهم.[61] وكي يدعم هذا الزعم، فإنه يستشهد بوثيقة من وثائق الجيش الإسرائيلي تختصر ما صرح به الجيش أمام وفد من الصليب الأحمر الدولي من دون أن يذكر أن وثائق الصليب الأحمر الدولي الموازية لوثائق الجيش الإسرائيلي، والتي تحتوي على شهادات السجناء، تعطي انطباعاً مناقضاً تماماً.[62] لكن كلاين، على الأقل، لا يقدم تجربة المعسكر كأنها أمر إيجابي بالنسبة إلى الذين عاشوها، وهذا مناقض لما يقوله محرر المجلدين الذي أبدى في مقدمة المجموعة ملاحظات تتعلق بمقال كلاين قائلاً: "لا بد من أن بعضهم [سجناء الحرب الفلسطينيين] كانوا سعداء لأنهم عملوا أحياناً في أماكن كانوا عملوا فيها سابقاً موظفين لدى البريطانيين."[63]

إن نموذج تدوين الصهيونية الجديدة للتاريخ أُدخل الآن أيضاً إلى النظام التربوي في إسرائيل. ففي أواخر التسعينيات، كان هناك في قيد البحث كتابان مدرسيان يلمحان إلى احتمال حدوث عمليات طرد في سنة 1948، وذلك بهدف ضمهما إلى المنهاج المدرسي الوطني، لكنهما رُفضا بعد مناقشات محمومة في لجنة التربية في الكنيست. إلاّ إن ما كان يعتبر من المحرمات في سنة 1999 بات مشروعاً في سنة 2000، وبات منهاج وزارة التربية الرسمي يتضمن كتباً تعلّم التلامذة أن الجيش الإسرائيلي أخذ يطرد الفلسطينيين ويدمر قراهم للحؤول دون عودتهم بعد شهر ونصف شهر تقريباً، على اندلاع الحرب. وبما أن 15 أيار/مايو يُعتبر التاريخ الرسمي لانطلاق شرارة الحرب، وهو اليوم الذي دخلت فيه الجيوش العربية فلسطين (لا يعتبر تطبيق خطة دالِتْ جزءاً من "الحرب")، فإنه يمكن اعتبار أن مضيّ شهر ونصف شهر على اندلاع الحرب يوافق في مطلع تموز/يوليو.[64] وحتى لو وضعنا جانباً التفسير الغريب بأن عمليات الطرد بدأت لأن السكان توقفوا عن الرحيل طوعاً، فإنه ليس ثمة معطيات تاريخية تدعم هذه الرواية؛ وفي الواقع، فإن البراهين جميعها الموجودة حالياً في أرشيف الجيش الإسرائيلي تشهد على أن عمليات الطرد المنهجية التي تسببت بتهجير أكثر من ثلاثة أرباع اللاجئين، إنما حدثت في

تموز/يوليو. ومع ذلك، فإن ما يثير الاهتمام هو أن عمليات الطرد هذه بات معترفاً بها بوضوح في المنهاج المدرسي.

وبعد دراسة دقيقة ومعمقة للكتب المدرسية التي تُعنى بالتاريخ والجغرافيا وعلم التربية المدنية وتتناول حرب 1948، والتي تشكل جزءاً من المنهاج، يستخلص العالِم التربوي دانيال بار طال أن وجهة النظر الصهيونية فيما يتعلق بالنزاع هي مسيطرة، وأن المؤلفات تنقل صورة تعبّر عن اليهود كضحايا، وأُخرى نمطية سلبية عن العرب.[65] ويدعم كتّاب آخرون نتائج البحث التي تشير إلى أن الصهيونية تجتاح التاريخ المتعلق بسنة 1948.[66]

الخلاصة

إن خير مثال لتحوّل الخطاب الصهيوني هو عرض اقتباسين من الكاتبة أنيتا شابيرا عن عمليات طرد الفلسطينيين، فقد كتبت مقالاً في سنة 1999 نُشر في "نيو ريبابليك"، تقول فيه:

> *لقد أدى الذعر العربي إلى هجرة (exodus) وانهيار مؤسسات المجتمع الفلسطيني. وكلما ازداد وضوح حجم هذه الهجرة، ازداد قبول الفكرة وجاذبيتها بالنسبة إلى الزعماء والقادة العسكريين الإسرائيليين – ليس لأن الحركة الصهيونية كانت تخطط لهذا الإجلاء طوال الوقت فحسب، بل لأن خياراً بعيداً (حتى لو كان البعض ربما يتلهف نوعاً ما إلى هذه الفكرة) بات مقبولاً في سياق سلوك الطرفين خلال الحرب أيضاً.*[67]

بعد خمسة أعوام، صار من الممكن فجأة عرض عملية الهجرة/التهجير الجماعي العربي بشكل ملموس، كما وقعت فعلاً، ومن دون ربطها بسلوك الطرف العربي، وهي التي كانت شابيرا صوّرتها أنها "خيار بعيد" نادراً ما كانت القيادات السياسية والعسكرية الإسرائيلية، حتى أواخر ربيع سنة 1948، تفكر فيه (حتى لو كان البعض ربما "يتلهف" نوعاً ما إلى هذه الفكرة). فعلى سبيل المثال، عندما كتبت شابيرا سيرة يغئال ألون الذاتية في سنة 2004، قالت إنه "كان من أشد المؤيدين لفكرة ترحيل الفلسطينيين القسري، حتى إنه نفّذ عمليات طرد جماعي خلال حرب الاستقلال."[68] كما أنها اقتبست باستحسان تصريحه خلال محاضرة عامة في سنة 1950 بأن "المبرر الأبدي" (أي الحق الأبدي للشعب اليهودي في وطن من دون "غرباء") يجعل عمليات الطرد الجماعي للفلسطينيين شرعية، ثم أضافت قائلة: "لقد بذل جلّ ما في وسعه لا لاحتلال أرض إسرائيل فحسب، بل لإجلاء السكان عنها أيضاً."[69] كذلك، فإن خير مثال لمدى الاحتضان الرسمي، أو احتضان التيار الرئيسي لحقيقة عمليات الطرد على أنها عمل إيجابي ومقدمة ضرورية للحصول على الحقوق اليهودية، هو الموقع الإلكتروني للمكتبة الافتراضية لمركز التكنولوجيا التربوية في إسرائيل، وهو هيئة حكومية تشرف عليها وزارتا التربية والثقافة، والذي يتضمن العديد من المراجع عن طرد الفلسطينيين في سنة 1948.

في أواخر التسعينيات، وفي مثال آخر للوقائع التي كانت تُنكر في الماضي وباتت مقبولة اليوم، نجح المؤرخون الجدد في تقويض وصف حرب 1948 بأنها مواجهة بين داود اليهودي وجوليات العربي، وهي أسطورة كانت حيوية لتنمية الشعور بالازدراء تجاه الفلسطينيين والعرب، ولزرع الشعور بقوة لا تُقهر وذات أبعاد تكاد تكون فوق الطبيعة. وفي بداية القرن العشرين، نشر الجيش الإسرائيلي وثيقتين كشفتا أن القوات الإسرائيلية كانت تتمتع بتفوق عسكري بنسبة اثنين إلى واحد خلال حرب 1948، وهو واقع بات يحظى اليوم بقبول واسع النطاق، لكنه مُقدّم بطريقة تقوي الإيمان بهذه الأسطورة. ويمثل الاقتباس التالي المأخوذ عن ليا سيغال من مدرسة الفكر الصهيوني الجديد خير مثال لذلك:

> *[هاتان الوثيقتان] تعلّمانا أن حرب 1948 لم تكن حرب قلة ضد كثرة، وهذه حقيقة لا يمكن إنكارها اليوم. لكن لماذا يزعم الناس اليوم أن هذه الحقيقة تفضح زيف أسطورة القلة ضد الكثرة؟ كيف هزم جيش قوامه 65.000 شخص جيوشاً قوامها 35 مليون شخص؟ الجواب هو أنها كانت "حرباً بين النوعية والكمية."*[70]

وأضافت سيغال أن أي تفسير آخر إنما هو صادر عن مدرسة المؤرخين أمثال إيلان بابهْ وآفي شلايم اللذين أصبحا، طوعاً، الناطقين باسم الدعاية الفلسطينية.

إن الانتقال في إسرائيل من فترة السلام المفعمة بالأمل إلى تشاؤم الحرب انعكس في تدوين التاريخ الاحترافي والمناقشات العقائدية داخل المجتمع اليهودي الإسرائيلي. وقد وصفتُ هذا التأرجح بأنه

يتراوح بين موقف ما بعد الصهيونية الذي ينتقد سلوك إسرائيل الماضي والحاضر (أحياناً إلى حد التشكيك في شرعية الأيديولوجيا الصهيونية وصحة أخلاقيتها) وبين موقف الصهيونية الجديدة التي لا تزال تؤمن بشدة بالمبادئ الأساسية للأيديولوجيا الصهيونية الكلاسيكية. ومنذ بداية التسعينيات، برزت بوضوح سيطرة الأيديولوجيا القوية على عملية تدوين التاريخ حين جرت المناقشة العلمية في إسرائيل بشأن ما حدث في سنة 1948، ليس على المسرح الأكاديمي فحسب، بل أكثر من ذلك أيضاً، على الساحة العامة حيث غالباً ما استُخدم الخطاب الوطني والإنساني لتبرير الموقفين.

والسبب الذي يجعل من تدوين التاريخ الإسرائيلي الاحترافي لأحداث سنة 1948 مثالاً واضحاً للطبيعة المنحازة إلى عملية تدوين التاريخ، هو الدور المحوري لسنة 1948 في الروايتين الوطنيتين للفلسطينيين والإسرائيليين على حد سواء. فالحركة الصهيونية تعتبر أن تلك السنة هي سنة المعجزة، في حين يعتبرها الفلسطينيون نكبة كارثية لأنها أنتجت دولة إسرائيل ومشكلة اللاجئين في آن واحد. وستبقى القضيتان مفتوحتين ما دام النزاع مستمراً.

إن عرض تقهقر ما بعد الصهيونية وصعود الصهيونية الجديدة في الأبحاث المتعلقة بسنة 1948، يمكن أن يخدم غايات ثلاث: أولاً، يمكن أن يثبت مرة أخرى كيف تؤثر الأيديولوجيا في عملية تدوين التاريخ الاحترافي في المجتمعات المتوترة مثل إسرائيل؛ ثانياً، يمكن أن يوفر مقياساً لتسجيل التوجه الفكري والثقافي الحاليين للمجتمع اليهودي في إسرائيل، الذي غالباً ما يتم تجاهله على حساب التركيز الذي يكاد يكون حصرياً على سياسات الحكومة والاستراتيجيات العسكرية باعتبارها العناصر الوحيدة التي تحدد موقف دولة ما إزاء واقع معين؛ أخيراً، إنه يؤكد مجدداً أن الصراع بشأن الذاكرة سيبقى عنصراً حيوياً في صوغ الواقع النزاعي لكل من إسرائيل وفلسطين، وسيؤثر في فرص المصالحة في المستقبل.

وبكلمة أخيرة أقول إن التوافق السائد حالياً في إسرائيل، والذي يبرر كل ما حدث خلال حرب 1948، كان يحمل في طياته تبعات سياسية بعيدة المدى. فهو يكشف النقاب عن أن إسرائيل غير مستعدة للتصالح مع الماضي ومع الفلسطينيين، وأنها واثقة جداً بأن سياسات التطهير العرقي وانتزاع الملكية يمكن تبريرهما أخلاقياً، والحفاظ عليهما سياسياً، ما دام هناك أكاديميون وسياسيون يترددون في أن يطبقوا على إسرائيل مجموعة المبادئ والأحكام نفسها التي طبقوها بوحشية على العالمين العربي والإسلامي. ■

(*) مؤرخ إسرائيلي، ورئيس قسم التاريخ في جامعة إكزيتر (Exeter) في بريطانيا. من مؤلفاته: "التطهير العرقي في فلسطين"، ترجمة أحمد خليفة (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، 2007)؛ *A History of Modern Palestine: One Land, Two Peoples* (Cambridge: Cambridge University Press, 2004).

(**) **المصدر:** *Journal of Palestine Studies* 153, vol. XXXIX, no. 1 (Autumn 2009), pp. 6-23.

وقد قُدّم هذا المقال أول مرة في 28 تشرين الثاني/نوفمبر 2008، كجزء من مداخلة "مؤسسة الدراسات الفلسطينية - منصور أرملي"، في إطار المؤتمر السنوي لجمعية دراسات الشرق الأوسط، الذي عُقد في واشنطن في الولايات المتحدة.

ترجمة: لينا حمدان.

* إرغون تسفائي لِئومي/المنظمة العسكرية القومية، والاسم المختصر هو "إيتسِلْ". أسسها وترأسها في سنة 1931 أبراهام يَهومي، وتعاقب على رئاستها عدة قادة، كان آخرهم مناحِمْ بيغن الذي ترأسها في سنة 1943. (المترجم)

* هذه العصابة هي على اسم مؤسسها أبراهام شتيرن الذي انشق عن الإرغون في سنة 1940 لتوقفها عن محاربة البريطانيين في إثر اندلاع الحرب العالمية الثانية. وقد خلف شتيرن بعد مقتله في سنة 1942 ثلاثة من القادة، أبرزهم يتسحاق شمير. والاسم الرسمي لهذه العصابة هو "مقاتلون من أجل حرية إسرائيل/لوحامي حيروت يسرائيل"، والاسم المختصر هو ليحي. (المترجم)

المصادر

(1) Louis Althusser, *Essays on Ideology* (London: Verso Books, 1984).

(2) انظر مثلاً:

Michal Bar-Josef Hirsch, "From Taboo to the Negotiable: The Israeli New Historians and the Changing Representation of the Palestinian Refugee Problem", *Perspectives on Politics*, vol. 5, no. 2 (June 2007), pp. 241-258; Avi Shlaim, "The New Historians of the Middle East", *Oxford Today*, vol. 20, no. 1 (Michaelmas issue 2007), http://www.oxfordtoday.ox.ac.uk/2007-08/v20n1/04.shtml.

(3) ناقش إيلان بابهْ في أواخر التسعينيات، وفي سلسلة مكوّنة من ثلاثة مقالات في *Journal of Palestine Studies*، تأثيرهم في مجالات تدوين التاريخ والإعلام والتربية.

(4) Ilan Pappé, "The Post-Zionist Discourse in Israel, 1991-2001", *Holy Land Studies*, vol. 1, no. 1 (2002), pp. 3-20.

(5) Ilan Gur-Ze'ev and Ilan Pappé, "Beyond the Destruction of the Other's Collective Memory: Blueprints for Palestinian/Israeli Dialogue", *Theory, Culture & Society*, vol. 20, no. 1 (February 2003), pp. 93-108.

(6) انظر:

Yoav Gelber, *Independence versus Nakba: The Arab-Israeli War of 1948* [in Hebrew] (Or Yehuda: Dvir, 2004).

(7) انظر مثلاً:

Tuvia Friling, ed., *An Answer to a Post-Zionist Colleague* [in Hebrew] (Tel-Aviv: Yediot Aharonot Publication, Hemed Books, 2003).

(8) Daniel Pilser, "Making History" [in Hebrew], *Techelet* (9 March 2000), p. 1.

وقد قام إيلان بابهْ بترجمة الاقتباسات كلها في هذا المقال، والمأخوذة من الكتب والمقالات العبرية.

(9) Pappé, op. cit.

(10) Efraim Karsh, *Fabricating Israeli History: The "New Historians"* (London and New York: Routledge, 2000).

(11) Pilser, op. cit., p. 1.

(12) Anita Shapira and Derek J. Penslar, eds., *Israeli Historical Revisionism: From Left to Right* (London and Portland: Frank Cass Publishers, 2003), pp. iv-vi.

(13) Michael Walzer, "History and National Liberation", in Shapira and Penslar, op. cit., pp. 1-8.

(14) Ibid., p. 8.

(15) Daniel Gutwein, "Left and Right Post-Zionism and the Privatization of Israeli Collective Memory", in Shapira and Penslar, op. cit., pp. 9-42.

(16) Martin Kramer, *Ivory Towers on Sand: The Failure of Middle Eastern Studies in America* (Washington, D.C.: The Washington Institute for Near East Policy, 2001); Gelber, op. cit.

(17) Benny Morris, *The Birth of the Palestinian Refugee Problem, 1947-1949* (Cambridge: Cambridge University Press, 1987).

(18) Benny Morris, “Survival of the Fittest”, interview by *Ha’Aretz* reproduced in *Journal of Palestine Studies*, vol. XXXIII, no. 3 (Spring 2004), p. 168.

(19) Ibid., p. 169.

(20) Ibid., p. 168.

(21) على سبيل المثال، انظر:

Gili Haksin, “The Historiographical Development of Israel’s Creation and the Conflict with the Arabs” [in Hebrew], PhD thesis (Haifa University, 2007); Moshe Shalem, “The Hagana Value System: A Historical Examination of Their Formation and Dissemination, 1939-1948” [in Hebrew], PhD Thesis (Bar-Ilan University, 1997).

(22) انظر مثلاً:

Eli Eyal, ed., “The War of Independence: Special Issue” [in Hebrew], *Kivunim Hadashim*, vol. 14 (June 2006).

(23) Alon Kadish, ed., *Israel’s War of Independence, 1948-1949*, 2 vols. [in Hebrew] (Tel-Aviv: Israeli Ministry of Defense Publication, 2004), pp. 11-13.

وعنوان الكتاب بالعبرية يستخدم الأحرف العبرية التي تدل على الأرقام، مثلاً، سنة 1948 مكتوبة بأحرف عبرية تدل على الأرقام.

(24) Ibid., p. 14.

(25) Mordechai Bar-On, *A Memory in A Book: The Early Israeli Historiography of the War of Independence, 1948-1958* [in Hebrew] (Tel-Aviv: Israeli Ministry of Defense Publication, 2001), p. 60.

(26) Mordechai Bar-On and Meir Hazan, eds., *People at War, Research on the Civil Society in the War of Independence* [in Hebrew] (Jerusalem: Yad Ben Zvi, 2007).

(27) في مقال في صحيفة "الغارديان" البريطانية كتب موريس: "الحقيقة البسيطة هي أن العالم العربي حاصر المشروع الصهيوني حتى قبل انطلاقه، وحاول تدميره أو إضعافه إلى حد كبير، وذلك في حرب تلو الأخرى..." والحرب الأولى كانت في سنة 1948، وقد صُوّرت أنها عمل إسرائيلي للدفاع عن النفس بسبب العداء الفلسطيني خاصة، والعربي عامة. ويذهب موريس، في كتابه: Benny Morris, *Righteous Victims: A History of the Zionist-Arabic Conflict, 1881-2001* (New York: Vintage, 2001)، إلى حد أبعد، فيلوم الفلسطينيين على دفعهم الصهيونيين إلى معاملتهم بشكل وحشي أحياناً، وخصوصاً في سنة 1948. فبالنسبة إليه، إن الفلسطينيين المسلمين، وثقافتهم البدائية عامة، لم يتركوا أمام الحركة الصهيونية في سنة 1948 أي خيار. وفي كتابه: Benny Morris, *1948: A History of the First Arab-Israeli War* (New Haven and London: Yale University Press, 2008)، يصف هجمات الفلسطينيين والعرب ضد الدولة العبرية في سنة 1948، بالقول إنها "جهادية"، وهي طريقة أخرى لإلقاء اللوم على الفلسطينيين.

(28) انظر:

Yoav Gelber, “Why Did the Palestinians Run Away in 1948?” *History News Network* (17 June 2002).

ففي هذا المقال، يكتب غيلبر أن حرب 1948 بدأت بسبب رفض الفلسطينيين قرار التقسيم، وكذلك رغبة العالم العربي في تدمير الدولة العبرية. وفي رأيه، فإن كل ما قامت به القوات اليهودية كان مبرراً أخلاقياً بصفته دفاعاً عن النفس.

(29) Tamir Goren, “Separate or Mixed Municipalities? Attitudes of Jewish Yishuv Leadership to the Mixed Municipality during the British Mandate: The Case of Haifa”, *Israel Studies*, vol. 9, no. 1 (Spring 2004), pp. 101-124.

(30) Yakob Markovizky, “The Gahal: Recruitment Abroad in the War of Independence” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 525-538.

(31) Alon Kadish, “Settlements Prepare for War” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 801-848.

(32) Jonathan Fine, “Basic Problems in Government and Logistics” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 679-710; Amir Bar-Or, “The War of Independence: The Supervision of the Political Institutions over the Hagana Organization” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 711-758.

(33) Haim Barkai, “The Real Cost of the War of Independence” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 759-792; Yitzhak Greenberg, “The Impact of the Economic Consideration on the Crucial Stages of the War of Independence” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 793-800.

(34) Yehuda Wallach, *The Carta Atlas for the War of Independence: Operations, Sites of Battles, Commemoration Sites* [in Hebrew] (Tel-Aviv: Carta, 2005); Lea Abunil, “Qawqji’s Salvation Army” [in Hebrew], MA Thesis (Bar-Ilan University, 2005); David Tal, *War in Palestine, 1948: Strategy and Diplomacy* (London and New York: Routledge, 2004).

(35) Moshe Naor, *Fire on the Carmel: The Palmach Operations against the British Radar Stations, 1945-1947* [in Hebrew] (Tel-Aviv: Ministry of Defense Publication, 2006).

(36) Arnon Golan, “The Reshaping of the Ex-Arab Space and the Construction of an Israeli Space (1948-1950)” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., p. 912.

(37) عنوان أطروحة غولان هو:

“The Transformation of the Settlement Map in the Areas Abandoned by the Arab Population as a Result of the War of Independence in the Territory on Which the State of Israel Was Founded, 1948-1950” [in Hebrew] (University of Haifa, 1993).

(38) لقد وردت عبارات الأسف التي عبّر عنها موريس بعد سنة 2000 في المقابلة الصحافية التي أجرتها صحيفة "هآرتس" معه في سنة 2004 (انظر: Morris, “Survival of the Fittest”, op. cit.)، كما وردت في كتابه: Morris, *1948: A History…*, op. cit، وفي مواضع أخرى.

(39) انظر:

Ibid.

(40) Dani Hadari, “The War of Independence in the North” [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 119-170.

(41) Ibid., p. 131.

(42) Ibid., p. 133.

(43) Uri Milstein, “The Looting by Harel”, *NEWS1*, 28 February 2005.

ميلشتاين الذي ينتمي إلى يمين الخريطة السياسية، هو مؤرخ محيِّر يسعى لتقويض الصورة البطولية لقادة حزب العمل الصهيوني في حرب 1948، وخصوصاً يتسحاق رابين.

(44) Yoav Peleg, "The Campaign in Jaffa and the Surrounding Area" [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 389-422.

(45) Moshe Arnewald, "The Military Campaign in Jerusalem in the War of Independence, November 1947 – April 1949" [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 341-388.

(46) Peleg, "The Campaign in Jaffa…, op. cit., p. 417.

(47) Arnewald, op. cit., p. 362.

(48) Ibid., p. 359.

(49) Ibid.

(50) Aharon Klein, "The Arab POWs in the War of Independence" [in Hebrew], in Kadish, ed., op. cit., pp. 567-586.

(51) Salman Abu Sitta, Report to Israeli Web Site Zochrot [in Hebrew], 19 May 2002, www.Zochrot.org/index.php?id=70.

(52) انظر دراسة أبو ستة في:

Ilan Pappé, *The Ethnic Cleansing of Palestine* (Oxford: Oneworld Publications, 2006), pp. 200-204.

(53) إن انعدام الإحساس الذي يظهره كلاين في اختياره العناوين الفرعية، والذي من شأنه أن يبعث الرعدة في نفس أي فرد من الناجين من المحرقة، ربما يكون نتيجة الإفراط في استعمال واستغلال والتلاعب بذكرى المحرقة في إسرائيل، أو الجهل بكل بساطة. واستعمال كلاين عبارة "محانوت هعفودا" (معسكرات العمل) في مقالته: يظهر عدم إحساس مماثل:

Klein, op. cit., p. 577.

(54) Ibid., p. 575.

(55) Ibid., p. 568.

(56) Ilan Pappé, "The Tantura Case in Israel: The Katz Research and Trial", *Journal of Palestine Studies*, vol. XXX, no. 3 (Spring 2001), pp. 23-25.

(57) Klein, op. cit., pp. 568-576.

(58) Ibid., p. 576.

(59) Ibid., p. 583.

(60) محمد نمر الخطيب، "من أثر النكبة" (دمشق: المطبعة العمومية، 1951)، ص 116.

(61) Klein, op. cit., p. 580.

(62) إن عدم اهتمام كلاين بشهادات سجناء الحرب العرب، ربما لا يكون مفاجئاً، لكن دراسته هي الوحيدة التي أعرفها ضمن دراسات أُخرى عن سجناء الحرب العرب، والتي تتجاهل كلياً شهادات السجناء أنفسهم. تخيّل استعادة الحياة في معسكر الاعتقال من دون شهادات السجناء الشفهية والمكتوبة.

(63) Kadish, ed., op. cit., p. 24.

(64) هذا أساس الحجة التي قدمها يوآف غيلبر أيضاً، في كتابه الذي كان مصدر إلهام لاختيار البرنامج:

Gelber, *Independence versus Nakba…*, op. cit.

(65) Daniel Bar-Tal, *Living with the Conflict, Socio-Psychological Analysis of the Jewish Society in Israel* (Jerusalem: Carmel, 2007), p. 443.

(66) انظر مثلاً:

Sami Adwan and Ruth Firer, *The Narrative of the Palestinian Refugees during the War of 1948 in Israeli and Palestinian History and Civic Education Textbooks* (Paris: UNESCO Publications, 1997).

(67) Anita Shapira, "The Past Is Not a Foreign Country: The Failure of Israel's ((New Historians)) to Explain War and Peace", *The New Republic Online* (29 November 1999), http://ontology.buffalo.edu/smith/courses01/rrtw/Shapira.htm.

(68) Anita Shapira, *Yigal Allon: A Biography* [in Hebrew] (Tel-Aviv: Am Oved, 2004), p. 152.

(69) Ibid.

(70) Leah Segal, "Between Myth and Reality: Few against Many?" [in Hebrew], *Hazofeh* (24 February 2007), p. 2.